الدرس الصوتي في آيات القرآن التشريعية

د/بسمة عبد الله عبيد العصيمي

الحمدُ لله الذي أنزل الكتابَ على عبده، ولم يجعل له عِوجًا، ليهدي به اللهُ مَنْ اتبع رضوانه سُبل السلام، فكان العملُ بمحكمه حُجَّةً للعالِم على الجاهل، والإيمانُ بمتشابهه حُجَةً للجاهل على العالم، نزَّله تصديقًا لنبوة رسوله الكريم، وبُرْهانًا ألجم به المعاندين، وملَّكه جوامع الكلم، وضمَّنه طرائف الحكم، به تلهج ألسنةُ المؤمنين، وإليه تهوِي أفئدةُ العارفين. والصلاةُ والسلامُ على مَنْ لان عُودُهُ فكان رحمةً للعالمين، الذي خَفَقَت لذكره القلوب، وحنَّت لقربه النفوسُ، شفيعِنا المقبولة شفاعتُه، ونصيرِنا المُنْجَزَةِ نصرتُه، وعلى آله الطاهرين، وعلى أصحابه الذين عنهم رَضِيَ، الأبرارِ الأخيارِ، من المهاجرين والأنصار، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعـدُ...

فقد كان نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ بلغته الصافية وتراكيبه الباهرة مورداً لكثير من الدراسات، نظرتْ في القرآن الكريم نظرات استنطقتْ فناءاته اللغوية والنحوية والأدبية والبلاغية، ومنهلاً لروّاد سعوا إلى خدمة لغته المباركة وحاولوا استكناه بيان ألفاظه وتوسلوا مقاصده ومعانيه وشرحوا غريب صوره وألفاظه، ولا يزال مدار أهل العلم وطالبيه يخطّ أنوار القرآن العظيم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخبو سناه، ولا يحاط بسرّ إعجازه، ولا تزال لغته مدار درس الدارسين، ومحط رحال الباحثين. وقد شرَّف الله العربية أن جعلها لغة القرآن الكريم الذي ختم به الكتب، ولغة الرسول ﷺ الذي ختم به الرسل، وبذلك شرُف البحث في هذه اللغة عامة، وفي لغة القرآن الكريم خاصة، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث (**الدرس الصوتي في آيات القرآن التشريعية**).

وقد يُدْرِكُ العقل البشري الأمور الواضحة، من قبِيل حُسْن العدل، وقُبْح الظلم والعدوان، ولكن ظاهر كل هذه الواضحات قد ورد فيه دليلٌ سمعيٌ شهد على صدقه كتابُ الله أو سنة نبيه. أما الدليل العقلي الذي اختلف فيه المجتهدون فمُسَوِّغُ العمل به لا يَنْبُعُ من كونه مقبولاً عقلاً، وإنما يَنْبُعُ من كونه ثابتاً في كتاب الله –سبحانه وتعالى– أو سنة نبِيه ﷺ.

وتبرز عناية الفقهاء بالدليل السمعي، فالمباح ما أباحه الله ورسوله، وليس ما أباحه العقل أو العُرفُ أو غيرهما، مما لم يأت به سَمَاعٌ من كتاب أو سُنَّةٍ. ومن هنا فآيات الأحكام تعدُّ المصدر الأوَّلَ الذي يستخرج منه الفقيهُ فتواه، قال الله تعالى: وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ [1]، فلا يَعْدِلُ عنها إلى غيرها إلا في حال عجزه عن إيجاد الحُكْمِ، قال تعالى قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴿١٥﴾[2]. ففي القرآن الكريم الفرائض والفضائل، الأولى واجبةٌ والأخرى مُسْتَحَبَّةٌ، وفيه الرخصة والعزيمة، والخاص والعام، والمطْلَق والمقَيَّد، وَالمحكَمَ وَالمتَشَابَهَ؛ ممَّا يوجبُ البحث والاستقصاء في بطون الكتب لاستخراج رواية صادقة وسند صحيح وإجماع موثوق.

أمَّا مصطلح (آيات) فهو جمع آية، و" الآية: هي في الأصل العلامة الظاهرة... وتستعمل في المحسوسات والمعقولات، ويقال لكل ما يتفاوت به المعرفة بحسب التفكر والتأمل فيه، وبحسب منازل الناس في العلم آية. ويُقال على ما دلَّ على حكم من أحكام الله سواء كانت آية أو سورة أو جملة منها. والآية أيضاً طائفة حروف من القرآن عُلِمَ بالتوقيف انقطاع معناها عن الكلام الذي بعدها في أول القرآن، وعن الكلام الذي قبلها في آخره، وعن الذي قبلها والذي بعدها في غيرهما "[3]. والآيات التشريعية هي الآيات القرآنية التي يُستنبط منها الأحكام والقوانين الشرعية أو ما يعرف باسم الشريعة الإسلامية. والأحكام جمع حكم، يُقَالُ: (أحْكَمَ عَنِّي فُلانٌ كَذَا)؛ بمعنى مَنَعَهُ، وحَكَمَةُ اللِّجَامِ؛ مَا أحَاطَ بِحَنَكَيهِ، وسُمِّيَ بِهِ؛ لأنَّها تمنَعُهُ من الجَرْي[4]. وقال ابن فارس:" الحَاءُ، وَالكَافُ، وَالمِيمُ أصْلٌ وَاحِدٌ، وهُوَ المَنْعُ، وَأولُ ذَلِكَ الحُكمُ وهُوَ المَنْعُ "[5]. والحكم في اصطلاح الأصوليين:"خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلف بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع "[6]، وفِي الفِقْهِ " المستَفتِي هو طَالِبُ حُكْمِ اللهِ من أهله، وَالمستفتَى فيه هو الوَاقِعُ المطْلُوبُ كَشْفُهُ وَإزَالَةُ إشكاله "[7]؛ لأنَّ الحُكْمَ فَصْلٌ وفَتْحٌ لِما يُستَغلَقُ[8].

فآيات الأحكام هي الآيات القرآنية التي يتعلق الخطاب فيها بأفعال المكلف بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع[9]، وهي المقصودة في البحث هنا، أمَّا ما عداها فلا يدخل في مجال البحث. أما عدد آيات الأحكام فهو خمسمائة آية، حيث قال حاجي خليفة عن كتاب (أحكام القرآن لابن العربيّ):" وهو تفسير خمسمائة آية متعلقة بأحكام المكلَّفين "[10]، وسوف يتناول البحث بعض النماذج فقط.

وقد اتخذت الباحثة المنهج الوصفي منهجاً لها. واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وخطة البحث. وتناول المبحث الأول

(**التناسق الصوتي**)، وتناول المبحث الثاني (**الفاصلة القرآنية**)، وتناول المبحث الثالث (**التنغيم**)، أما الخاتمة ففيها إبراز أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

فإنْ أصبتُ في هذا البحث فتلك الغايةُ المنشودةُ، وإنْ سهوتُ أو أخطأتُ، فليس لي من العصمةِ أو الكمال من شيءٍ، وما توفيقي إلاَّ بالله.

واللهُ الموفقُ للصوابِ

توطئة:

هناك قيمٌ لها وَقْعٌ على وجدان السَّامع، فمثَلُها مثلُ النغمة الموسيقية تُطْرَبُ لها الأذن دون أن تقول طَرِبت، ومثل هذا يمكن أن ننسبه إلى القرآن الكريم(١١)، فهذا الوليد بن المغيرة سمع شيئاً من القرآن الكريم فكأنَّما رقَّ قلبُه له فقالت قريش: صبأ واللهِ الوليدُ، ولَتَصْبَؤُنَّ قريش كلهم. فأوفدوا إليه أبا جهل؛ ليُثيرَ كبرياءه، واعتزازه بنسبه وماله، ويطلب إليه أن يقول في القرآن قولاً يُعْلِمُ به قومه أنَّه له كارِهٌ. قال: فماذا أقول فيه؟ فواللهِ ما منكم رجلٌ أعلمُ مني بالشعر برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجِنِّ، واللهِ ما يُشْبِهُ الذي يقوله شيئاً من هذا. واللهِ إنَّ لقوله لَحَلاوةً، وإنَّ عليه لطَّلاوةً، وإنَّهُ لَيَحْطُمُ ما تحته، وإنَّه لَيعْلُو وما يُعْلَى عليه. قال أبو جهل: واللهِ لا يَرْضَى قومُك حتى تقول فيه. قال: فَدَعْنِي أفكر فيه. فلمَّا فكر قال: إنْ هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ، أما رأيتُمُوهُ يُفَرِّقُ بين الرجل وأهله(١٢).

وقد ردَّ القرآن الكريم عليه بقوله: إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(١٣). بَيْدَ أنَّ السحر عادةً ما يُسَخَّرُ للشر، على حين نجد القرآن الكريم يَحُثُّ الناس على إصلاح ذات البَيْن، والدعوة إلى الفضائل، وهو ما خيَّب مَسْعَاهُم في إلصاق تهمة السحر به. وسوف تدرس القيم الصوتية في ضوء التناسق الصوتي، والفاصلة القرآنية، والتنغيم.

المبحث الأول: التناسق الصوتي في آيات القرآن التشريعية

القرآن الكريم تنتظم ألفاظه، وتتناسب والحالة المراد تصويرها؛ فقد يرد على الذهن لفظٌ يُوحي جرسُه بمعناه، وتحسُّ قرعَه في الآذان، خذ مثلاً (**الصَّاخَّة**)، و(**الطَّامَّة**)، فـ " الصَّاخَّةُ: لفظة تكاد تخرق صِمَاخَ الأذن في ثقلها، وعنف جرسها، وشقها للهواء شقاً؛ حتى يصل إلى الأذن صاخَّاً

مُلِحَّاً. والطَّامَّةُ: لفظة ذات دويٍّ وطنين، يُخَيَّلُ إليك بجرسها المدَوي أنَّها تَطُمُّ وتَعُمُّ، كالطوفان يغمر كل شيء "[١٤].

وقد ترد ألفاظ يُوحِي سماعها باليُسر والسلاسة؛ فلفظة (**سلسبيلا**) في قوله تعالى: عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا[١٥]، " يُوحِي فيها لفظ (السلسبيل) بـ (السَّلاسة)، والسهولة، ويُسر الاستساغة، وذَلك لما بين اللفظين من شركة في بعض الحروف، وفي رتبة هذه الحروف، يضاف إلى ذلك شركة مشابَهة بين هذا اللفظ ولفظ (الإسبَال) مصدر(أسْبَلَ يُسْبِلُ)، وهو قد يكون للستر، أو للثياب قصداً؛ لاتقاء الفضول، مما يُوحِي بأنَّ هذه العين لا تزاحم عليها؛ فهي في متناول عدد محدود من الشَّاربين "[١٦].

ونجد في آيات الأحكام مثل هذه الألفاظ، من ذلك قوله تعالى: يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا ۝٧ [١٧]، فالسامع يُحِسُّ عند سماع لفظ (**شَرُّهُ**) المشدد الراء، مصحوباً بما يحمله لفظ (**مُسْتَطِيراً**) بتطاير الشَّرر في اتجاهات متعددة، بل كأنَّه يسمع صوت الشَّرر المنتشر في الفضاء عن طريق صوت (السين)، بوصفها من أصوات الصَّفير، و(الشين) بوصفها من أصوات التفشِّي؛ فالهواء يتفشَّى من الشفتين عند ارتفاع طرف اللسان إلى مؤخرة اللثة ومقدم الحنك الأعلى عند النطق به، و(الطاء) بوصفِها صوتاً مفخَّماً. فالدلالة الصوتية والقيمة التعبيرية لهذه الأصوات، ترسم صورة مخيفة قريبة من الحواس.

ومن الاستعمال القرآني، ما نجده من تشديد أو إبدال عند تجاور حرفين متنافرين في لفظ واحد، وأدَّى هذا التجاور إلى نطقهما بثقل؛ عندئذٍ لابد من تغيير أحدهما؛ إذ إنَّ من " العسير على اللسان أنْ ينطق بصوتين متجاورين، وهما من طبيعتين مختلفتين لما في ذلك من جهدٍ على أعضاء النطق "[١٨]، ويُعْرَف هذا عند المحدثين بـ (المماثلة)، أو (التماثل الصوتي)، وكان يُعرف عند سيبويه بـ (المضارعة)، حيث يقصد بها تقريب الأصوات المتجاورة بعضها من بعض، فضارعت بها أشبه الحروف[١٩]، وسمَّاهُ ابن جني (التجنيس)، ويعني به المناسبة والانسجام، وقد جاء ذلك في تعليل نطق (اضْطَرَبَ) بِالطاء، دون الـ (التاء) في صيغة (افتعل)، فقال:" إنَّهم أرادوا تجنيس الصوت، وأن يكون العمل من وجهٍ بتقريب حرف من حرف "[٢٠]، ففي قوله تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا مِّنَ ٱلنَّارِۖ [٢١]؛ قيل: إنَّ أصل (**ادَّاركوا**): (تداركوا) وقُلِبَت (التاء) فيها (دالاً)، ثم أُدْغِمَت بـ (الدال)، واجتلبت ألف الوصل بُغْية التوصل للنطق بِـ (الدال) بعد أن سُكِّنت، " ومَنْ يتأمَّل الفرق في

الإيحاء بين أصل الفعل والصورة التي استُعمل بها، يجد أنَّ التشديد هنا يُوحِي بتداعيهم في النار متزاحمين بغير نظام، بل إنَّ اشتمال التشديد على سكون، ثم حركة يَدُلُّ على أنَّ تزاحمهم على النار جعل بعضهم يعُوق بعضاً قبل أن يتردُّوا فيها، فكأنَّ النقطة التي تداعَوا عندها كانت كعُنُق الزجاجة "[٢٢].

ولننظر إلى ما توحيه كلمة (**يَصْطَرِخُونَ**) في قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ[٢]؛ توحي وكأنَّ الصُّراخ المتجاوب واللَّغط من كل مكان، يُقابل بالإهمال، وكلُّ هذا يعود لما في كلمة (يَصْطَرِخُونَ) من إيحاء[٢٤].

وفي آيات الأحكام نجد أمثلة فيها هذا الإيحاء؛ لنتأمل كلمة (**اطَّهَّرُوا**) في قوله تعالى: وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ[٢٥]، فهِي توحي وهي مشدَّدَة الطَّاء والهاء بِشدة الحرص على التطهُّر، والمبالغة في الحثِّ على تجنُّب حال الجنابة. والأصل فِي (اطَّهَّرُوا): (تَطهَّرُوا)، ثم قُلِبَت (التاءُ) (طاءً)، ثم أُدْغِمَتْ بِ (الطاء) وشُدِّدَتْ، واجتلبت ألف الوصل؛ توصلاً للنطق بالساكن، وبما في (الطاء) من صفة الإطباق والتفخيم، تكونت صورةٌ مضخمةٌ فيها حثٌّ على التَّطهُّر. ولو وردت (تَطَهَّرُوا) لما كانت بهذَا الوقع من المبالغة في تفخيم الطلب، إذ أضفت (اطَّهَّرُوا) بُعْداً روحياً ربما يُستنبط منه كراهةُ البقاء على حال الجنابة واستحباب التطهُّر، لا مجرد النظافة البدنية.

ولو نظرنا إلى كلمة (**يَطَّوَّفُوا**) في قوله تعالى من الأحكام: وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ [٢٦]، وكلمة (يَطَّوَّفُ) في قوله تعالى من الأحكام: ۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ [٢٧]، لوجدنا كأنَّه قُصِدَ بهما تعدُّد أشواط الطَّواف بالحج، ولو جاءت على الأصل (ليَطُوفُوا) و(أنْ يَطُوفَ)، لربما تبادر إلى الذهن شوطٌ واحدٌ من الطَّواف، ولكنَّ ما في التشديد من تفخيم أوحى بهذا التعدُّد.

ويظهر الإحساس بالتفخيم من الإبدال بقصد المبالغة، وتفخيم الحدث في قوله تعالى من آيات الأحكام: وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ [٢٨]، جاءت كلمة (**اصْطبِرْ**) من صيغة (افتعل)، بإبدال (التاء) (طاءً)؛ لمجاورتها (الصَّاد)، ولو كانت (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْبِرْ عَلَيْهَا) لما تولّد هذا الإحساس؛ فـ (اصْطَبِر) بِجرسها أوحت بِالمداومة على أداء الصلاة في أوقاتها، وإلى حمْل الناس على أدائها كأنَّ من دواعي (اصْطَبِرْ) احتياجهم إلى شيء آخر ربَّما يزيد على الصَّبر.

وقد نجد في بعض الأحيان، عدولاً عن كلمة خالية من التفخيم إلى كلمة أخرى تشتمل عليه؛ بقصد تفخيم اللفظ وإحداث المبالغة، وممَّا جاء في آيات الأحكام، قوله تعالى: وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا[٢٩]، وقوله: فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ[٣٠]، وقوله: حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ [٣١]، فقد عبَّر بالتوسط، وأراد الحسن، فكان انتقاء التوسط لما فيه من تفخيم (الطَّاءِ)، فجاء المعنى: جعلناكم أُمَّةً حَسَنَةً، من أحْسَنِ مَا تُطْعِمونَ أهْليكم، والصَّلاةُ الحُسنَى[٣٢].

. التناسق الصوتي بتكرار الحروف:

يبرز التناسق الصوتي في القرآن الكريم من خلال تكرار الحروف، وذلك يصدق على الجناس تاماً كان أو ناقصاً، وعلى المشاكلة بين اللفظين، وردِّ العجز على الصدر، وما شابه ذلك. ومن الأمثلة على التناسق الصوتي في آيات الأحكام قوله تعالى: وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ [٣٣]، فكان لتكرار حرف (الحاء) وَقْعٌ في الآية الكريمة؛ لترديده أربع مرات في أربع كلماتٍ متتابعةٍ، وهو ما حقَّق انسجاماً توافق مع ما حملته الكلمات من معنى الموعظة؛ فهي موعظةٌ تستقبلها أُذنُ المتلقِّي وكأنَّها تُسَّر له إسراراً؛ لأنَّ (الحاء) صوت حلقي احتكاكيٌّ صامتٌ ومهموسٌ ، فتناسبت أجراسُ الحروف بعضها مع بعض على تأليفٍ صوتيٍّ يكاد يكون موسيقياً محضاً في التركيب، وهي ملاءمةٌ بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يُؤدِّيه[٣٤].

وتظهر هذه الصورة بجلاء أكبر في قوله من الأحكام: قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ[٣٥]؛ إذ تكرَّر حرف (السين) عشر مرات، وهو صوتٌ لثويٌّ رخو ومهموس[٣٦]؛ فجاء التكرار بلا ثقل في السمع، بل لم يُحدث اضطراباً في أذن المتلقِّي؛ لـ " أنَّك إذا قرأت السورة متواليةً، تجد صوتك يُحْدِثُ (وسوسة) كاملة تُناسب جو السورة "[٣٧]. قال مصطفى صادق الرافعي:" تأملْ سورة (النَّاس)، وانظر كيف جاءت في نظمها، وكيف تكرَّرت لفظة الفاصلة وهي لفظة (النَّاس)، وكيف لا ترى في فواصلها إلا هذا الحرف (السِّين) الذي هو أشدُّ الحروف صفيراً، وأطربها موقعاً من سمع الطفل الصغير، وأبعثها لنشاطه واجتماعه، وكيف ناسب مقاطع السورة عند النطق بها، تردد النَّفَس في أصغر طفل يقوى على الكلام، حتى كأنَّها تجري معه، وكأنَّها فُصِّلت على مقداره، وكيف تطابق هذا الأمرُ كله من جميع جهاته في أحرفها ونظمها ومعانيها، وكيف تمَّت الحكمة في هذا الترتيب العجيب "[٣٨].

وفي قوله تعالى: إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا [٣٩]، تجد أنَّ الآية الكريمة أُقيم بناؤها الصوتيُّ على تناسق، "كأنَّه يتماوج، وأنت تستطيع أن تُدرك ذَلك بسهولة إذا أصغيت إلى تتابع أصواتها في تتابعها وتلاحقها، ف (المسلمين) مثل (المؤمنين)، ومثل (الصَّادقين، والقانتين، والخاشعين)، وهكذا كل أوصاف الذكور متناسبةُ الإيقاع،.. و(المسلمات، والصادقات) إلى آخر أوصاف الإناث كلها أيضاً متناسِبَةٌ في الإيقاع، ثم تداخلت هذه الأوزان، فجاء (المسلمين) بهذا الصوت الممتد إلى أسفل، وبعده (المسلمات) بهذا الصوت الممتد إلى أعلى، وأرْدف ذلك بِـ (المؤمنين)، فعاد الصوت في إيقاعه إلى حالته الأولى التي بدأ بها، ثم جاء (المؤمنات) فرجع به إلى حالته الثانية، وهكذا ظلَّ الصوت إلى نهاية الآية يتماوج بين هذين الإيقاعين الواضحين اللذين حددتهما كلمتا (المسلمين والمسلمات)، ثم إنَّ أجراس هذه الكلمات وما فيها من ترديدٍ لأصوات الحروف التي تتكون منها مادة كل وصفٍ من هذه الأوصاف، يتداخل مع هذا الإيقاع المتماوج؛ فتولَّدت في الآية أنغامٌ خاصةٌ لها رنينٌ مُتميِّزٌ يَبْعَثُ في النفس الإيحاء والإيقاظ "[٤٠].

. التناسق الصوتي والمحسنات البديعية:

حفلت آيات الأحكام بأنواع من المحسنات البديعية من قَبيل الجناس التام، والجناس الناقص، والمشاكلة وغيرها. وكان لهذه المحسنات البديعية أثَرٌ في إبراز القيم الصوتية؛ مما حقق انسجاماً نغمياً واضحاً، وفيما يلي أمثلةٌ على ذَلك:

١. قوله: قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ [٤١]، استُعمل الفعل في (نُوَلِيَنَّكَ)، و(فَوَلِّ) بلفظين متفقين، ومعنيين مختلفين؛ فالتولية في قوله (لَنولِيَنَّكَ) بمعنى مَكَّنتُكَ وحَكَّمْتُكَ، وقوله (فَوَلِّ) جاء بمعنى تَوَجَّهْ إلى الكعبة[٤٢].

٢. قوله: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ[٤٣]، جاءتْ جملة (لا تُحِلُّوا) بمعنى لا تنتهكوا حُرْمَةَ الشعائر في الشهر الحرام بالقتال، ولا تنتهكوا حُرْمَةَ آمِّي المسجِد الحرام بالمنع والصَّدِّ عنه، ثم جاءت جملة (وَإِذَا حلَلْتُمْ) بمعنى خرجتم عن حال إحرام الحج.

٣. قوله: فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ [٤٤]، الاعتداء من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى، والاعتداء الذي أباحه الله وأمر به المسليم إنما هو القصاص، فلا يكون القصاص ظلماً، وإن كان اللفظ واحداً[٤٥].

٤. قوله: وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ [٤٦]، فالسيئة الأولى بمعنى الذنب، والثانية بمعنى الجزاء.

٥. قوله: يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ [٤٧]، اللِّبَاسُ الأول بِمعنى (الثياب)؛ بقرينة (أَنْزَلْنَا)، واللباس الثاني بمعنى المصدر (من الملابسة)[٤٨].

٦. قوله: فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ [٤٩]، الجناس الناقص في (تَقْهَرْ)، و(تَنْهَرْ).

٧. قوله: وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ۝١ [٥٠]، الجناس الناقص في (هُمَزَةٍ)، و(لُمَزَةٍ).

٨. قوله: رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ [٥١]، الجناس الناقص في (تَتَقَلَّبُ)، و(القُلُوبُ).

٩. قوله: يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ [٥٢]، الجناس الناقص في (الرِّبَا) و(يُرْبِي).

١٠. قوله: إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ [٥٣]، الجناس الناقص في (وَجَّهْتُ)، و(وَجْهِي).

١١. قوله: فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ۝٤٣ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ [٥٤]، الجناس الناقص في (أَقِمْ)، و(القَيِّمِ).

١٢. قوله: فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ [٥٥]، الجناس الناقص في (كُلِي)، و(كُلِّ).

كلُّ ذلك يُؤَدِّي إلى تحقيق الانسجام الصوتي وتيسير عملية النطق من التكرار النغمي لأصوات الحروف.

. الإيقاع في آيات القرآن التشريعية:

يعدُّ الإيقاع صورة للتناسق الفني في القرآن الكريم، وآية من آيات الإعجاز المتجلِّي في أسلوبه المتميز، فالقرآن يحوي إيقاعًا موسيقيًا يؤدي وظائف جمالية رفيعة، كما أنَّ له نظامًا صوتيًا وجمالً لغويًا ينتظم بتساوق حركاته وسكناته ومدّاته وغُنَّاته انتظامًا رائعًا، والجمال الصوتي هو أول

ما التقطته الأسماع العربية، ويظهر هذا الجمال في انتظام الحروف، وترتيب الكلمات، وعرض المشاهد المتنوعة، والتجارب المختلفة، كما لو أنَّها حيّة نراها رأي العين.

وارتبط مفهوم موسيقى الشعر بما يُعْرف بالوزن أو التفعيلات، فـ " لم يرد مصطلح الإيقاع في (معجم المصطلحات البلاغية عند العرب)، ولا في (معجم العروض والقوافي)، ولا في (مصطلحات الفارابي القاموسية)، وجذوره في القرآن الكريم تقترن بِالعقوبة والعذاب أينما ورد[١]، فالإيقاع إذن مصطلحٌ حديثٌ أُفرغ من دلالته القديمة، وامتلأ بدلالة جديدة ما زالت غير مستقرة "[٢]، وعَرَّفَ كانتينو الإيقاع بـ " تردُّد ارتسامات سمعية متجانسة بعد فترات ذات مَدًى متشابهٍ، فيمكن التحصيلُ على الإيقاع بواسطة وسائل جد مختلفة "[٣].

وفي التراث اللغوي ناقش الخليل بن أحمد وزن الشعر في إطار المتحرك والساكن دون الإشارة إلى ما حدَّده اليونانيون بالمقطع القصير (V)، والمقطع الطويل (–). ولكننا– إلى الآن – نفهم موسيقى الشعر العربي من خلال تفعيلات الخليل وبحوره.

وحاول عددٌ من المستشرقين تشويه صورة الشعر العربي؛ لأجل إخضاع تفعيلات الشعر العربي لنظام المقطع (القصير– الطويل)، ومن ثمَّ تفسير الأسس الإيقاعية للشعر العربي على أساس الكمِّ[٥٩]. ومفهوم الكمِّ في إيقاع الشعر العربي " ينبع من وجود نوعين من المقاطع اللغوية، لأحدهما نظريًّا زمنٌ يستغرقه في النطق يُعادل نصف زمن الثاني، والنوع الأول هو المقطع القصير (V)، والنوع الثاني هو المقطع الطويل (—)، وتتألف من اجتماعهما وحدات يُفترض أنَّها تشغل الزمن نفسه "[٦٠].

ويبدو أنَّ نظرة المحدثين للشعر العربيِّ من خلال بحور الخليل جعلتْ شوقي ضيف يقول عن قصيدة عَبيد بن الأبرص:" قلَّما يخلو بيتٌ منها من حذفٍ في بعض تفاعيله أو زيادة "[٦١]، وجعلته أيضًا يقول عن قصيدة المرَقَّش: إنَّها مضطربةٌ؛ لأنَّ فيها بيتًا من وزن السريع، وآخر من وزن الكامل، وسمَّى ذلك (خُرُوجًا) عن العروض التي وضعها الخليل. وبهذا نرى كيف " يُعَايرُ شوقي ضيف التراث عبر المفاهيم الذهنيَّة للجيل الأول، وحين يجد قصائدَ سابقةً على الخليل، لا يصلُح نظام الخليل لوصف إيقاعها، لا يرى في هذه القصائد تشكُّلاتٍ إيقاعيةً مستقلَّةً قائمةً بذاتها، ينبغي تحليلُها، واكتناهُ طبيعتها، بل يرى فيها (قصائدَ يضطربُ فيها العروض) "[٦٢].

وسنرى بعد قليل إسهام الدكتور كمال أبو ديب في بناء رؤيةٍ جديدةٍ جديرةٍ بالعناية، حين نظر إلى البحور الشعرية من خلال استعمال الوحدتين (فَعُولُنْ / فَاعِلُنْ) بتحولاتهما الممكنة؛ ممَّا جعل

الإيقاع الشعريّ أداة خلقٍ وإبداع يملكه الشاعر، فـ (فَاعِلُنْ ـ . o .. o)، و(فَعُولُنْ ـ عِلُنْ فَا ـ . o . o) وحدتان تشكِّلان تتابعًا أفقيًّا لـ(فَا ـ . o)، و(عِلُنْ ـ .. o)، في بحر المتقارب مثل:

فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ فَعُولُنْ

عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا

o . o . ./o . o . ./o . o . ./o . o .. o . o . ./o . o . ./o . o . ./o . o ..

وفي الرجز:

مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ

فَا فَاعِلُنْ فَا فَاعِلُنْ فَا فَاعِلُنْ فَا فَاعِلُنْ فَا فَاعِلُنْ فَا فَاعِلُنْ

o .. o . o ./o .. o . o . /o .. o . o . o .. o . o . /o .. o . o ./o .. o. o.

أمَّا الكامل (مُتَفَاعِلُنْ ـ . . . o .. o)، والوافر (مُفَاعَلَتُنْ ـ .. o . . . o) فقد اقترح لهما النواة (فَعِلُنْ ـ . . . o)؛ ليصبح عدد النوى البديلة لتفعيلات الخليل ثَلاثَاً هي: (. o)، و(.. o)، و(. . . o).

ثُمَّ بعدها يُقام تقعيد بحور الشعر على تتابع هذه النوى؛ مما يُحَرِّر الشعر من مصطلحات مثل السبب، والوتد، والتفعيلة.

ولو نظرنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أنَّ هناك تشكُّلات إيقاعيَّةً متنوعةً للنُّوى (. o)، و(.. o)، و(. . . o)، حيث يمكن في ضوئها فَهْمُ إيقاعٍ وموسيقى من هذا التتابع، وسأسلِّط الضوء على أمثلةٍ من آيات الأحكام لبيان ذلك:

– قال تعالى: وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا [٦٣].

ولا تَنْ قُضُول أيْ مَانَ بَعْ دَ تَوكِيْ دِهَا

o.. / o . o .. / o . . o . / o . o .. / o . o ..

عِلُنْ فَا عِلُنْ فَا فَاعِلُنْ عِلُن فَا عِلُنْ

إنَّ هذا التتابع لا يخصّ بحرًا من بحور الشعر، ولكنَّنا نجده يهُزُّ وجدان المتلقِّي عن طريق حفظ التوازن في تكرار النَّواتين (**.. o**)، و(**. o**)، بما هو أشبه بتبادل تفعيليّ بين (عِلُنْ فَا)، و(فَاعِلُنْ).

– قال تعالى: وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ [٦٤]. ففي الآية الكريمة تتابعٌ من نوع آخر:

وَمِنْ حَيْ/ ثُ خَرَجْ / تَ فَوَلْ / لِي وَجْهَ/ كَ شَطْرَلْ / مَسْجِدِ لْ / حَرَامِ

o . o .. / o .. ./ o ... / o . . o . / o . o . . / o . o .. / . o ..

وَحَيْثُ / مَا كُنْتُ / مُ فَوَلْ / ُ لوُ وجُو / هَكُمُ / شَطْرَهُ

o..o./o../ o.. o ./.o../ o.o. o./. o ..

كان للتنسيق النغميِّ بين (. . o . o) و(. o . . o)، ومن ثمّ تكرارُ النواة (. . . o) وللضربات المتلاحقة لـ (. o . o . o) أثرٌ في إظهار صورة الخروج والتوجُّه دون الالتفات إلى أقوال المرجفين.

– قال تعالى: وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ (٦٥).

وَأوفُوا / بِالْعَهْدِ / إنَّ لعَهْ / دَ كَانَ / مَسْؤُولا

o. o.o. /. o../ o.o.o./ .o.o. / o.o..

وهو تلاحقٌ نغميٌّ على نحو ضرباتٍ مركَّزةٍ للنَّواة (. o)، ناسب فيها المعنى تأكيد الوفاء بالعهد.

ويمكننا إجراء مثل هذا التطبيق على الآيات الآتية:

- وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٦٦٣).
- لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١).
- وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًاوَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٦٨).
- وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ (٦٩).
- مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا (٧٠٤).

من هنا نلحظ كيف " يختلف مفهوم الكمية في الشعر اختلافًا جذريًا عنه في الموسيقى؛ لأنَّ حقل الموسيقى لا يُشترط فيه إلا أن يستغرق زمنًا معينًا تشغله نغماتٌ يمكن أن يختلف ترتيبُها اختلافًا مطلقًا "(٧١).

– النبر والإيقاع:

تعين دراسة المقطع على تحديد مواضع النبر، ولم يدرس اللغويون العرب النبر مثلما درسوا قواعد النحو والصرف دراسة تفصيلية ومستقلة، إلا أنَّ ابن جني لاحظ آثاره في الكلام، وكان يُسَمِّيه (مَطْلُ الحركات)، قال:" وحكى الفراء عنهم: أكلتُ لَحْمَا شَاةٍ، أراد لَحْمَ شَاةٍ، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفًا "(٧٢)، وقال أيضًا:" وكذلك الحركات عند التذكُّر يُمْطَلْنَ حتى يفين

حُرُوفًا... وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في (قُمْتَ): (قُمْتَا)، أي: (قُمْتَ يوم الجمعة)، ونحو ذلك، ومع الكسرة، (أنْتِ) أي: (أنْتِ عَاقِلَةٌ)، ونحو ذلك، ومع الضمة (قُمْتُو)، في (قُمْتُ إلى زيد)، ونحو ذلك " [٧٣].

ورأى الدكتور إبراهيم أنيس أنَّه " ليس لدينا من دليلٍ يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما يُنطق بها في العصور الإسلامية الأولى؛ إذ لم يتعرَّض له أحدٌ من المؤلفين القدماء. أمَّا كما ينطق بها قرَّاء القرآن الآن في مصر، فلها قانونٌ تخضع له ولا تكاد تشذ عنه "[٧٤].

والذي يبدو لي أنَّ العربية عرفت النبر، ولكنَّه لم يُستخدم فيها فونيمًا، وهذا " لا ينفي وجود النبر في اللغة، ولا تكاد تخلو لغةٌ منه، أيَّ لغة "[٧٥]. ومن طبيعة العربية الفصحى أنَّها " تُقَصِّر الحركة الطويلة في المقطع المفتوح، إذا كان يسبق مقطعًا آخر منبورًا، ذا حركة طويلة؛ فأصل مصدر (فَاعِل) في العربية القديمة هو (فِيعَال)، نُبِر على المقطع الثاني، وقد ترتب على خلو المقطع الأول من النبر أن قصُرت حركته، فصار المصدر (فِعَال)، مثل: قَاتَلَ قِتَالاً بدلاً من (قِيتَالاً) "[٧٦].

وعارض المستشرق برجشتراسر وجود النبر بمعنى الضغط على المقاطع فقال:" لا نصَّ يُستند إليه في مسألة كيف كان حال العربية الفصحى في هذا الشأن، وما يتضح من اللغة نفسها، ومن وزن شعرها أنَّ الضَّغط لم يُوجد فيها، أو لم يكد يوجد؛ وذلك أنَّ اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوطة، وتقصيرها وتضعيفها، ومدُّ الحركات المضغوطة، وقد رأينا أنَّ كل ذلك نادرٌ في اللغة العربية "[٧٧]. وإلى هذا المعنى ذهب هنري فِيش قال:" نبرُ الكلمة فكرةٌ كانت مجهولةً لدى النحاة العرب، بل لم نجد له اسمًا في سائر مصطلحاتهم " [٧٨]، وذكر حالةً واحدةً يحدث فيها النبر، قال:" أمَّا علم الصرف فيبدو أنَّ فكرة النبر أهملته جزئيًا، وذلك في حالة واحدة فحسب، حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة (المنبورة؟) في مقابل الألف المقصورة (غير المنبورة؟) "[٧٩]؛ إشارةً منه إلى أمثال: (غَيدَاء)، و(نَجْلاء)، حين تلحق بالاسم المؤنث ألف التأنيث الممدودة في مقابل الألف المقصورة.

ويبدو للباحثة أنَّ هناك علاقةً بين النبر ومعنى الكلمة؛ ففي الإنجليزية على سبيل المثال[٨٠]، نجد أنَّ نبر الكلمة (object) على المقطع الأول (o*bject) يجعلها ضمن الأسماء، ونبر المقطع الثاني (obj*ect) يجعلها ضمن الأفعال، وكذلك كلمات (i*ncrease) و(inc*rease)، و(c*ompact)، و(com*pact)، ورجَّح الدكتور كمال أبو ديب وجود النبر اللغوي في اللغة العربية فقال:" من هنا قد يكون طبيعيًّا، أنْ يصدق تقرير (مَاس) عن العلاقة بين النبر، وأهم المقاطع لمعنى الكلمة، على العربية إلى درجة أكبر من صدقه على الإنجليزية "[٨١].

وفي إشارة بروكِلمان، ما يؤكِّد وجود النبر في العربية القديمة، وهو الذي يبدأ رحلته من مؤخَّرة الوحدة الدلالية إلى مقدمتها، وتغلب عليه الموسيقى، ويعتمد كمِّيَّة المقاطع(٨٢).

ورأى الدكتور تمام حسان أنَّ " النبر في الكلمات العربية من وظيفة الميزان الصرفي لا من وظيفة المثال، فنحن إذا تأمَّلنا كلمة (فَاعِل) نجد أنَّ الفاء أوضح أصواتها؛ لوقوع النبر عليها، وتُعَدُّ هذه الصيغة ميزانًا صرفيًّا، نجد أنَّ كل ما جاء على مثاله يقع عليه النبر بالطَّريقة نفسها، مثل: (قَاتِل)..." (٨٣)، وتابعه في ذلك الدكتور محمود السعران(٨٤).

ويبدو لي أنَّ هذا الأمر لا يكون بذا الإطلاق؛ إذ إنَّ العرب يختلفون في ذلك، ففي مصر – على سبيل المثال – تُنطق (قَاتِل) بنبرٍ قويٍّ على (التَّاء).

وللنبر في مقاطع الكلمة المفردة ثلاث مستوياتٍ(٨٥)؛ *الأول*: نبرٌ أوليٌّ، ويكون هذا النوع أكثر جهدًا في الضغط على الحجاب الحاجز، ويرمز له بالرمز (X). *الثاني*: نبرٌ ثانويٌّ، هو مطلبٌ إيقاعيٌّ يتحقَّق على مستوى الكلمة المفردة في حال طول بنيتها؛ ممَّا يحوجها إلى إيجاد توازن بين أجزائها، ويتحقَّق على مستوى السياق؛ بسبب ما يعرض له من إرباك نبر الكلمات التي تأتي من اللواصق، والحروف، والأدوات التي تعرض في السياق، ويكون هذا النوع من النبر أضعف جهدًا من النبر الأوَّليِّ؛ إذ يكون ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين حال إيقاعه أضعف منه عند إيقاع النبر الأوَّليِّ(٨٦)، ويرمز له بالرمز (^). *الثالث*: النبر الضَّعيف وليس له رمزٌ(٨٧).

وتدين دراسة النبر اللغويِّ بالفضل لجهود الدكتور إبراهيم أنيس، وملخص قوانين النبر اللغوي عنده بأن " يُنظر أولاً إلى المقطع الأخير في الكلمة، فإن كان من النوعين الرابع والخامس، كان هو موضع النبر، وإلا نُظِرَ إلى المقطع قبل الأخير، فإن كان من النوع الثاني أو الثالث، حكمنا بأنَّه موضع النبر، أمَّا إذا كان من النوع الأول، نُظر إلى ما قبله، فإن كان مثله أي من النوع الأول أيضًا، كان النبر على هذا المقطع الثالث حين نعُد من آخر الكلمة، ولا يكون النبر على المقطع الرابع حين نعُد من الآخر إلا في حالةٍ واحدةٍ، وهي أن تكون المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول "(٨٨)؛ فيقع النبر على المقطع الأخير في مثل: (نَسْتَعِينْ)، و(ذَاكَرْتْ) في حال الوقف، وعلى المقطع قبل الأخير في مثْل: (تَعَلَّمَ)، و(يُعَادِي)، و(قَاتَلْ)، و(يَكْتُبْ) في حال الوقف أيضًا. ويقع على المقطع الثالث من الآخر في مثْل: (كَتَبَ)، و(اجْتَمَعَ) بتحريك آخرهما. فيما يقع على المقطع الرابع من الآخر في مثْل: (بَقَرَةٌ) بالتحريك(٨٩). وقد اتخذ النويهي من جهود أنيس في النبر منطلقًا في دراسة النبر الشعريِّ(٩٠).

وسبق أن أشرت إلى تتابع النُّوى (. o)، و(. . o)، و(. . . o)، وتبادل مواضعها، وهو ما يمنح الأذن إحساسًا بالإيقاع. بَيْدَ أنَّ هذا لا يكفي؛ إذ قد يصعب وضع حدودٍ واضحة المعالم لهذه الوحدات إلا بعد إعادة قراءة الآيات مراتٍ ومرات، وفي الكتابة المقطعية قد نحصل على تتابعٍ، مثل: (. . o . o . . o . o . o . . . o . o . o . o . . o)، ولا يمكن للعقل " أن يتقبَّلَ أصواتًا متتابعةً بانتظام، دون أن يُضفي عليها نوعًا من التجمع في وحدات، إذا لم تكن الأصوات تنتظم في مجموعاتٍ واضحةٍ تلقائيًا منذ البدء، حين نُصغي إلى ساعة تَتِكُ، فإنَّ العقل يسمع وقعها، إمَّا بشكل تِيكْ – تَاكْ، أو تَاكْ – تَاكْ، وهذه حقيقةٌ لها من التمييز والثبات بحيث يصعُب أن نُصَدِّق أنَّ حدثَ التكتكة هو في الواقع دون نبرٍ إطلاقًا، إلا أنَّ كون هذا الأثر أثرًا ذاتيًّا محضًا يُدْرَك من حقيقة أنَّ جُهْدًا واعيًا ضئيلاً يُحَوِّلُ الأثر من طريقة التجمُّع الأولى إلى طريقة التجمُّع الثانية، ثم يعود به إلى الأولى من جديد؛ فالمستمع هو المسئول عن خلق التجمع"[٩١].

وهذا يقودنا إلى أنَّ هناك شيئًا يتكون على نحو واضحٍ في السمع، أو غير واضح، وهو ما يُسَمِّيه شُولْز بالنقرة (Beat)، وأنَّ وجود هذه النقرة يمكن أن يُحَسَّ حتى في إيقاع الأغنية البسيطة[٩٢].

قال تعالى: أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا [٩٣]، والترتيل مصدر (رَتَّلَ، يُرَتِّلُ)، وأورد الخليل:" وَرَتَّلْتُ الكَلاَمَ تَرتِيلاَ إذا أَمهَلْتُ فِيهِ وَأحسَنْتُ تَأْلِيفَهُ، وَهُوَ يَتَرَتَّلُ فِي كَلاَمِهِ، وَيَتَرَسَّلُ إذا فَصَلَ بَعضَهُ مِن بَعضٍ "[٩٤]؛ وهو بمعَى " وضع المجموعات في أرتال، كل رَتْلٍ منها طائفةٌ مجتمعةٌ، وبين كلِّ رَتْلٍ وما يليه انقطاعٌ مُؤَقَّتٌ "[٩٥]. والعرب حين نعتوا القرآن بالشعر لم يقصدوا تشابه الوزن بينهما، وإنَّما كان ذلك إقرارًا منهم بسمو بيانه، وجمال إيقاعه، وتحدُّر نظمه[٩٦].

وستتبع الباحثة في وضع النبر القويِّ على النواة الأولى في كل وحدةٍ، وتكون النَّواة نفسها هي بدايةُ كل الوحدات[٩٧]؛ وذلك بوضع حاجزٍ قبل كلِّ نبرٍ قويٍّ، أشبه بوضع الحواجز، باستعمال العلامات الموسيقية:

♩ / ♩♩ / ♩♩ / ♩♩ / ♩

نُميِّز هذه الوحدات بواسطة النبر، لا بواسطة الكمِّ المتمثل بالتفعيلات التي لا يُمَيِّزها إلا فترات الصمت التي تفصل تفعيلةً عن أخرى. **وفيما يأتي أمثلةٌ تطبيقيةٌ من الآيات، توضح توزيع النبرِ:**

- **قوله:** وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ [٩٨].

وَاعتَصِ / مُو بِحَبْ / للِّهِ / جَمِيعًا / وَلَا تَـ / فَرَّقُوا

o . .o./ .o.. / o.o../ .o.o./ ..o. / ..o .

يُوزَّع النبر القوي على النواة الأولى (. o)، وتحمل بقية الوحدات النبر الضعيف، ويصبح توزيع النبر على النحو الآتي:

x ^ x ^ x ^ x ^ ^
o ..o./ . o .. / o . o .. / o..o . / .. o .

يلاحظ أنَّ النبر القوي تقدم في (. x ^ o .. o)، وتأخر في (.. o . x ^ o)، ثم عاد إلى وضعه الأول؛ مما خلق إيقاعًا ترتيليًّا يريح السمع ويشد الانتباه إلى المعنى.

- **قوله:** وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ[٩٩].

وَوَصَّيْ / نَلإِنْسَا / نَ بِوَا / لِدَيْهِ / حُسْنًاوَ / إِنْ جَاهَ / دَاكَ لِ

.. o./.o.o./.o.o./.o..o../ o.o.o./o.o..

تُشْرِكَ / بِي مَا لَيْ / سَ لَكَ / بِهِ عِلْ/ مٌ فَلَا / تُطِعْهُ / مَا إِلَيْ

o.. o ./ .o .. / o..o. / o. .. / .. / o.o.o. / ..o.

يَرْجِعِ / عُكُمْ فَ / أُنْبِّئُ / كُمْ بِمَا / كُنْتُمْ تَعْ/ مَلُون

.o../o.o.o. / o..o. / ..o.. / . o .. / .o..

يكون تَوزِيع النبر بِالشكل الآتي:

x ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^ ^
.. o . o / o . o . o / o ... / o .. / . o . o . o./o. o. o./ . o. o./ .. o

x ^ x ^ x ^ ^ ^ ^ ^
o ..o./ . o .. / o . o . o / ... o / o .. o / .. o . o / .. o .

x x ^ x ^ ^ ^ ^ x ^
o .. o./ . o .. / o .. o./ . o .. o / o . o . o / .. o . o / .. o .

يلاحظ أنَّ الوحدة (. . o . .) التي تقابل (أُنَبِّئُ) فيها همزتان، وهناك مَنْ يُسَهِّل الهمزة الثانية لتتحوَّل (. . o . .) إلى (.. x o .)، وتُناغِمُ أخواتها.

ويُمْكِنُ تَطْبِيقُ قَوَاعِدِ تَوزِيعِ النَّبرِ عَلَى آيَات الأحكَام الآتِية:

- تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ[١٠٠].
- فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [١٠١].
- وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ [١٠٢].

- ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ (١٠٣).
- وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ (١٠٤).
- وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا(١٠٥).
- إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا(١٠٦).

وتكتب مقطعيًّا على النحو الآتي:

- تَتَجَا – فَى جُنُ – بُهُمْ عَ – نِلْمَضَا – جِعِيَدْ – عُونَ رَبْ – بَهُمْ خَو – فًا وَطَ – معًا وَ – مِمَّا رَ – زَقْنَاهُمْ – يُنْفِقُون
- فَكُلُوا – مِمَّا رَ – زَقَكُ – مُللَهُ – حَلالاً – طَيِّبًا – وَاشْكُرُوا – نِعْمَتَلْ – لاه إنْ – كُنْتُمْ إِيْ – يَاهُ تَعْ – بُدُون
- وَالسَّارِ – قٌ وَالسَّا – رِقَةُ – فَاقْطَعُوا – أَيْدِيَ – هُمَا جَ – زَاءً بِ – مَا كَسَ – بَا نَكَا – لاًمِنَ ِلْ – لاه وَلٌ – لاهُ عَ – زِيزٌ حَ – كِيمٌ

وهكذا سائر الآيات، ثم تكتب الوحدات كما في المثالين السابقين، ثم بعد ذلك يُوضع نبرٌ قويٌّ على أول نواة في الوحدة، وتحمل سائرُ الوحدات نبرًا ضعيفًا، ويتكرَّر النبر القوي على ما اعتمد في الوحدة الأولى، في سائر الوحدات، وتحمل سائر الوحدات نبرًا ضعيفًا، وهكذا.

المبحث الثاني: الفاصلة القرآنية في آيات القرآن التشريعية

- الفاصلة القرآنية:

هي الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن، ولعلها مأخوذة من قوله تعالى: كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ(١٠٧)، وربما سميت بذلك؛ لأن بها يتم بيان المعنى، ويزداد وضوحه جلاء وقوة.

وعرف عرب الجاهلية ضروب الكلام من شعر، وخطابة، وسجع كُهَّان، فوجدوا القرآن لا يُشبه واحداً من هذه الفنون؛ فالقرآن ليس على أعاريض الشعر في رجزه، ولا في قصيده، وليس على سُنن النثر المعروف في إرساله، ولا في تسجيعه؛ إذ هو لا يلتزمُ الموازين المعهودة في هذا ولا

ذاك، ولكنَّك مع ذلك إنْ تقرأ بضع آياتٍ منه تشعر بتوقيعٍ موزون ينبعث من تتابع آياته، بل يسري في صياغاته، وتآلف كلماته، وتجد في تراكيب حروفه تنسيقاً عجِيباً بين الرَّخو والشَّديد، والمجهور والمهموس، والممدود والمقطوع[١٠٨].

وبعد اتهامهم القرآن بالسحر– وفشل مسعاهم – جاء ادِّعاؤهم بِأنَّ القرآن ما هو إلا قول شاعر أوهى وأوْهَنُ؛ فهم أعرف الناس بالشعر وصناعته، وبقوافيه وفنونه وأغراضه ، وهم أوعى بما يَنْسِبُه الشعراء لأنفسهم من بطولاتٍ ومغامراتٍ مع النساء، وبما في شعرهم من وصف الخمرَ. فضلاً عن تَكَسُّب الشعراء بما ينظمون لشيوخ القبائل ووجهاء الناس من مدائح، أو من هجاءٍ لأعدائهم ومنافسيهم ، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ[١٠٩].

زد على ما سبق، أنَّ من ضوابط الشعر عندهم أنْ يعتمد الشاعر قافيةً موحَّدةً في الرَّويِّ، يبدأ بها من أول بيتٍ في قصيدته وينتهي عندها حتى آخر بيتٍ فيها؛ فـ " تَجد حشداً محشُودًا من الأنغام المكرَّرة التي سمعناها من قبل عشرات المرات، والتراكيب المحفورة في الذاكرة تنهالُ على لسانه، ولا يُطيقُ لها دفعًا، وتجد جميع نقائص الشكل القديم حين ينظم عليه ناظموها المحدثون، من اضطرارٍ إلى الإطناب والحشو، من أجل استكمال الوزن، والوصول إلى القافية، ومن انسياق وراء الألفاظ، والاندفاع مع تيارها المأثور. ولن تجد صورةً جديدةً، أو تجميعاً جديداً لكلمات اللغة، ممَّا يحفل به الشاعر نفسه حين يتخذ الشكل الجديد، بل ستجد شطوراً وأبياتاً بأكملها منتزعة إيقاعاتها وأنغامها انتزاعاً من الشعر المأثور، ويستطيع القارئ المطلع أن يرجعها إلى أصولها بغير عناء "[١١٠]. ولم يُعَارِض فصحاءُ العرب القرآن من قبل، مثلما اعتادوا في معارضة الشعر، فأصحاب الشعر ممَّن يُحْتَجُّ بهم، لم يظهر لهم وزن القرآن في نظمه مع سهولة نظم الشعر عندهم، ومع تفنُّنهم في أساليبه.

وقد قُصِدَ من نفي الشعر عن القرآن، " نفي معانيه وأخيلته، تلك التي قد تُصَوِّرُ الأمور على غير حقيقتها، ولا يسلك فيها الشاعر إلا مسلك العاطفة غير مُستَوحٍ من العقل والمنطق إلهاماً؛ فهو حُرُّ الخيال، يذهب فيه كُلَّ مذهب، ويُصَوِّرُه في الصورة التي يرتضيها فَنُّه وعاطفته، وقد يُصَوِّرُ الحقَّ باطلاً، والباطل حقاً "[١١١]، قال تعالى: وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ [١١٢].

والقرآن الكريم قد خالف الشعر في أوزانه وقوافيه؛ فمن عِلَلِ القافية عندهم، ما سمَّاه العروضيون (الإيطاء)، وهو إعادة القافية باللفظة نفسها، وبالمعنى نفسه في أبياتٍ متتابعة[١١٣]. ولكن وردت أمثلة لهذه الظاهرة في آيات الأحكام، فقد تكرَّرت كلمة (النَّاس) في قوله تعالى: قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ[١١٤].

وكلمة (عظيم) في قوله: إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝١٢لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ۝١٣لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٤وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ۝١٥وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ[١١٥]، التي أُعِيدَتْ أربع مرات عند رؤوس ست آيات. وقد تَهَيَّبَ عددٌ من العلماء المتقدِّمين من إطلاق لفظ (السَّجَع) على رؤوس الآي في القرآن الكريم، منهم أبو الحسن الرماني، وأبو بكر الباقلاني[١]. ويبدو أنَّ الرماني أولُ مَنْ سمَّاها (فواصل)؛ وهي عنده حروفٌ متشاكلةٌ في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، ورأى أنَّ الفواصل بلاغةٌ، والأسجاع عيبٌ؛ لأنَّ الفواصل تابعةٌ للمعاني، أمَّا الأسجاع فالمعاني تابعةٌ لها[٢].

وقد حاول الفرَّاء من قبلهم أنْ يربط بين مراعاة الفواصل في القرآن الكريم، وتناسب القوافي في الشعر، واستباح تغيُّر النظم في رؤوس الآي حتى أنَّه أجاز العدول عن الواحد إلى التثنية في قوله: وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ [٣]، قال:" ذكر المفسِّرون: إنَّهما بستانان من بساتين الجنة، وقد يكون في العربية جنة تُثَنِّيهَا العربُ في أشعارها. أنشدني بعضهم[٤]:

ومَهْمَهَيْن ِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْنِ قَطَعْتُهُ بِالأمِّ لا بِالسَّمْتَيْن

يريد مهمهاً، وسَمْتاً واحداً، وأنشدني آخر:

يَسْعَى بِكَيْدَاءَ ولَهْذمَين قَدْ جَعَلَ الأرْطَاة َ جَنّتَيْن ِ

وذلك أنَّ الشعر له قوافٍ يُقِيْمُهَا الزيادة والنقصان، فيحتمل ما لا يحتمله الكلام"[٥].

ونقل السيوطيُّ إنكار ابن قتيبة على الفرَّاء، فقال:" وقد أنكر ذلك ابن قتيبة، وأغلظ فيه، وقال: إنَّما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت، أو الألف، أو حذف همز أو صرف[٦]، فأمَّا أن

يكون الله وعد بجنتين فيجعلهما واحدةً؛ لأجل رؤوس الآي، معاذ الله، وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين؟ قال: ذَوَاتَآ أَفۡنَانٍ[1] ، ثم قال: فِيهِمَا[2] "[3].

ويبدو أنَّ الرماني بتفريقه بين الفواصل والأسجاع بوصف الأولى بلاغة والثانية عيباً، قد جاء بسبب أمثال هذه التأويلات، أو بسبب ما رُوِيَ عن ابن عباس في قصة حمل بن مالك، قال: فأسقطت غلاماً قد نبت شعره ميتاً، وماتت المرأة، فقضى على العاقلة الدية، فقال عمها: إنها قد أسقطت يا نبي الله غلاماً قد نبت شعره، فقال أبو القاتلة: إنَّه كاذب، إنَّه والله ما اسْتَهَلَّ، ولا شَرِبَ ولا أَكَلَ، فمثله يَطَلُّ، فقَالَ النبي ﷺ:" أسجع الجاهلية وكهانتها، أدِّ في الصبيِّ غُرَّة ۩"[4]. وقد استدل المتكلمون بهذا الحديث على ذمِّ النبي ﷺ السجع، ونفوره ﷺ من سماعه. ورأى أبو هلال العسكري أنَّ السجع إذَا سَلِمَ من التكلُّف، وبرئ من التعسُّف لم يكن في جميع صنوف الكلام أحسنُ منه[5]. وتابعه في هذا الرَّأي ابن سنان الخفاجي، وعدَّه من باب تنزيه القرآن من الوصف اللاحق له من الكلام المرْوِيِّ عن الكهنة، ولا يجد أبو هلال العسكريِّ فرقاً بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع، وبين السَّجع[6].

ويبدو للباحثة أنَّ الخلاف بين الرماني وغيره من العلماء في السجع، كان يتعلَّق بما هو مُتَكَلَّفٌ من الكلام سواءٌ أكان السجع فواصل أم لا، وكل ما في الأمر هو تنزيه القرآن الكريم عمَّا جاء على ألسنة الكهنة من سجع.

وتحقِّقُ الفاصلة القرآنية للنص جانبًا جماليًا لا يخفى عند الوقوف على رؤوس الآي؛ لتتضافر مع ما تحمله الآية من إيقاع، ولتحقق ترابطًا موسيقيًا لا يَبْعُد كثيرًا عمَّا نحسُّه من وزن الشِّعر وقافيته، ولكنَّه بعيدٌ عن تكلُّف الصَّنْعَةِ، وقيود الوزن والقافية. قال الزركَشي:" وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يُبَايِنُ القرآن بها سائر الكلام "[1]. ويحدث ذلك على وجهين؛ أحدهما: ألا يُتَصَوَّرَ تمام المعنى إلا بها، فتكون الفاصلةُ جُزْءاً من تراكيب الآيات، ففي آيات تحريم رَمْي المحْصَنة في قصة الإفْكِ، قال تعالى إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ۝١٢لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٣وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٤إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم

مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧

وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [٢].

نجد كُلَّ آيةٍ من الآيات المذكورة آنفاً مرتبطة بالآية التي قبلها ارتباطًا وثيقًا من الناحية الدلالية، ولا تكاد تستقلُّ بمفردها. والآخر: أن تأتي الفاصلة بعد تمام المعنى، ويظهر ذلك بشكل تذييل، أو تعقيب على معنى الآية ، لنتابعْ قوله تعالى من الأحكام: نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢٢٣ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢٢٤ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ[١]، هنا جاءت الفاصلة وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بمثابة تذييل وتعقيب على ما جاء في الآية من معنى، فناسب بهذه الفاصلة ما في قوله: وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ من معنى، والفاصلة وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم التي تحمل معنى التحذير ناسب النهي في قوله تعالى: وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أ؛ لأنَّ الحلاف مُجتَرِئٌ على الله، والمجتَرِئُ لا يكون بارّاً ولا مُتَّقِياً، ولا مَوثُوقاً به في إصلاح ذات البين[٢].

أمَّا الفاصلة وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ فقد انسجم معناها مع ما جُبِلتْ عليه النفس الإنسانية من عدم القصد في اليمين، وهو قول الرجل: (لا وَاللهِ)، و(بَلَى وَاللهِ)، حتى لو قيل له: إنَّك حَلَفْتَ قال: لا[٣].

ممَّا تقدَّم نجد أنَّ هناك " انسجامًا وتآلفًا بين مضمون الآية ومضمون التذييل، فليس في القرآن آيةٌ يدعو مضمُونها إلى العِقاب، وتذييلها إلى المغفرة والرحمة، وليس فيه آيةٌ تتضمَّن رضواناً من الله ينتهي تذييلُها بالوعيد، وشدَّة العقاب، وهَلُم جرا "[٤]. والفاصلة القرآنية توقيفيَّةٌ بحسب رسم المصحف، وأحيانًا تجد في القرآن الكريم ما يَصْلُح أن يقع فاصلةً وهو ليس كذلك؛ ففي قوله تعالى من الأحكام: لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞلَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ[٥]، يحس القارئ عند تلاوة هذه الآية أنَّ كلمة (**تُحِبُّونَ**) تصلُح أن يُوقَف عليها بوصفها فاصلةً، ولكنَّها في الحقيقة ليست فاصلةً. وفي قوله تعالى من الأحكام: وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢

[1]؛ نجد أنَّ كلمة (**خَلَاقٍ**) أيضاً تَصْلُح أن تكون فاصلةً، وقد جاءت فاصلةً في قوله تعالى من الأحكام: ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ[2].

ولأنَّ الفاصلة القرآنية توقيفية فلا يجوز جعل أمثال ما ذُكر فواصل؛ لأنَّها بخلاف رسم المصحف، وبخلاف ما تواتر عن النبي ﷺ.

وفي بعض الآيات تتوقَّع أنَّ المعنى قد تم عند الفاصلة، ولكنَّه في الحقيقة لم يتم، ومن الأمثلة على ذلك في آيات الأحكام قوله: ۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىۖ قُلْ إِصْلَاحٞ لَّهُمْ خَيْرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ [3]، تحسُّ عند تلاوة الآية أنَّ معناها قد تمَّ عند (**تَتَفَكَّرُونَ**)، ولكنَّ ما بعد الفاصلة يُؤَكِّدُ ارتباطها نحوياً ودلالياً بالآية التي تسبقها، ومثل هذا في قوله تعالى من الأحكام: بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٖۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴿٢٩﴾فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴿٣٠﴾ ۞مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ[4].

. الفاصلة القرآنية والتقديم والتأخير:

ممَّا يُلاحظ في الفاصلة القرآنية التقديم والتأخير، وهو أمرٌ له أهميته اللفظية؛ لما يُحْدِثُ من جرس ووقع في وجدان المتلقِّي. ومن الفواصل ما نلحظ فيه الحفاظ على الرتبة النحوية، وهو كثيرٌ في القرآن الكريم. وأمَّا قوله تعالى إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [1]، فأصل الرتبة فيه (نَعْبُدُكَ ونَسْتَعِيْنُكَ)، وفي قوله: چ ﭫ ﭬ ﭭ چ[2]، أصل الرتبة (وَهُمْ يُوقِنُونَ بِالآخِرَةِ)، ولكن في الآيتين لم يكن وقع الفاصلة بذلك الحُسن فيما لو جاءت الرُّتب على الأصل.

ومن آيات الأحكام التي ورد فيها تقديمٌ وتأخيرٌ في الفاصلة القرآنية، قوله: وَبِٱلْأٓخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴿٤﴾ [3]، وقوله: وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿١١٧﴾[4]، قوله: وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٣٣﴾[5]. ففي الآيات أصلُ رتبة الفاصلة (يَظْلِمُونَ أنْفُسِهِم)، ولكنَّها

أُعيدت بأسلوب التقديم والتأخير في جميعها. إنَّ المعنى الدلالي للآيات الثلاث واحدٌ، وأُعيدت بالأسلوب نفسه في موضع الفاصلة. وترى الباحثة أنَّ تقديم (أَنْفُسَهِم) لم يأت للاختصاص، كما هو الحال في (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، وإنَّما جاء لتحقيق نسق صوتيّ، وانسجام نغميّ مع سائر الآيات. والدليل على ذلك أنَّنا نجد مثل هذا التركيب في مواضع أخرى غير مواضع الفاصلة، وقد حُوفِظَ على الرتبة الأصلية فيها؛ قال تعالى: وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴿٧٠﴾[1]، وقال تعالى: وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ [2].

ومن أوضح الأمثلة على مراعاة الفاصلة في آيات الأحكام، ما نجده من تبادلٍ في الرتب عند مواضعها، في مثْل قوله: فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ[3]، وقوله: وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢۚ [4]، وقوله: وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴿٢٤﴾ [5]، وقوله: وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴿١٥٣﴾وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿١٥٦﴾، وقوله: فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴿٤٦﴾[7]، وقوله: إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ[8].

ممَّا تقدَّم يتضح أنَّ الفاصلة القرآنية ربَّما لا تدلُّ بالضرورة على تمام المعنى، فتُلخصُّ معنى الآية تلخيصًا يبرُز به المعنى المراد منها، إذ تأتي مستقرةً في مكانها متعلقًا معناها بمعنى الكلام كلِّه تعلُّقًا تامًا، بحيث لو طُرِحَتْ الفاصلة لاختلَّ المعنى، واضطرب الفهمُ[9]. بل نجد أنَّ لها قيمةً صوتيةً جماليةً، وترتبط أشدَّ الارتباط بموسيقى النص القرآني، وإن توافقت مع تمام المعنى.

المبحث الثالث: التنغيم في آيات القرآن التشريعية

إنَّ النَّغم عند الخليل هو" جَرْسُ الكلام وحُسْنُ الصوت من القراءة ونحوها "[1]، وعندما فسَّر الزمخشري قوله تعالى: وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ [2]، ذكر أنَّ لحن القول هو " أنْ تَلْحَنَ بكلامك، أي تُمَيِّلُه إلى نحوٍ من الأنحاء؛ لِيَفْطِنَ له صاحبُك كالتعريض والتورية "[3]، وقال القتال الكلابيّ (من الكامل)[4]:

ولقَد لَحَنْتُ لكُمْ لِكَيْمَا تَفْقَهُوا وَوَحَيْتُ وَحْياً لَيْسَ بالمُرتَابِ

إذن فالتنغيم في اللغة تتجاذبه ثلاث مفردات هي (نغمة، وجُرَس، ولَحْن)[5].

وفي الاصطلاح (التنغيم) هو إكساء الكلام ألوانًا موسيقيةً عند إلقائه، فتظهر بصورة ارتفاعات وانخفاضات تكون ذات أهمية في تمييز المعاني المختلفة للجملة الواحدة، على الرغم من وجود

عناصر تركيبية أخرى[٦]، فالجملة الواحدة قد يتنوَّع معناها بِتنوُّع طرائق النطق بها، ومثاله تعدد معاني جملة (أَنْتَ صَغِيرٌ)؛ فهي تدلُّ على الخبر، أو الاستفهام، أو التهكم، أو التحقير، أو غيرها من المعاني، فيتغيَّر معنى الجملة بحسب تغيُّر نغماتها من موقفٍ إلى موقفٍ آخر، ومن أداءٍ إلى أداء مغاير، ومن حالةٍ نفسيةٍ إلى حالةٍ نفسيةٍ أخرى.

وقد درس التنغيم في التراث اللغوي الحديث بصورة مستقلَّة ومستفيضة، ونجد إشاراتٍ مبثوثةٍ في كتب اللغة تدلُّ عليه، نستدلُّ منها على معرفة القدماء بأهمِّيته في الكلام، من ذلك ما رواه الزبيدي من أنَّ رجلاً مرَّ بأبي بكر **(رضى الله عنه)** وكان عند الرجل ثَوبٌ، فقال له أبو بكر: أتبِيعه ؟ فقال: لا، رحمك اللهُ. فقال أبو بكر: لو تستقيمون لقوَّمت ألسنتكم، هلا قلت: لا، ورحمك الله. ومنه ما حُكي من أنَّ المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيءٍ فقال: لا، وأيَّد الله أمير المؤمنين، فقال المأمون: ما أظرف هذه الواو وما أحسن وقعها[١]. وإنْ دلَّ هذا على شيء، فإنَّما يدلُّ على عناية العرب بواو الوصل.

أمَّا فيما يتعلَّق بالنحويين واللغويين، فقد ذكر سيبويه في باب الندبة والاستغاثة:" أنَّ المندوب مَدْعُوٌّ، ولكنَّه مُتَفَجَّعٌ عليه، فإنْ شئت لم ألحقت في آخر الاسم الألف؛ لأنَّ الندبة كأنهم يترنمون فيها، وإن شئت لم تُلحق كما لم تلحق في النداء، واعلم أنَّ المندوب لابد له من أن يكون قبل اسمه (يا)، أو (وا) "[٢].

وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام يقول في قراءة مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ[٣]، بنصب (مالك)[٤]، يقول:" نُصب على النداء، وقد تُحذف ياء النداء، مجازه: يا مالكَ يوم الدين؛ لأنَّه يُخاطب شاهداً، ألا تراه يقول: إيَّاكَ نَعْبُدُ، فهذه حجةٌ لمنْ نصب. ومَنْ جَرَّ قال: هما كلامان "[٥].

ويظهر هذا عند الأخفش في تفسير قوله تعالى: قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا[١]، قال:" فإذَا وقفت قلت: يا وَيْلَتَاهُ؛ لأنَّ هذه (الألف) خفيفةٌ، وهي مثل ألف الندبة، فلَطُفَتْ من أن تكون في السَّكت، وجُعِلْت بعدها (الهاء)؛ ليكون أبين لها وأبعد للصوت، وذلك أنَّ (الألف) إذا كانت بين حرفين كان لها صدى، كنحو الصوت يكون في جوف الشيء فيتردَّد فيه، فيكون أكثَر وأبين "[٢]؛ فوصف الأخفش التنغيم بتردُّد الصوت في جوف الشيء.

وتبدو أنَّ التفاتة ابن جني كانت أكثَر نضجًا عند وصفه الصوت في الكلام المنطوق في حال حذف بعض مفرداته قال:" وقد حُذِفَت الصفة، ودَلَّت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: (سِير عليه ليل)، وهم يريدون: ليلٌ طويلٌ. وكأنَّ هذا ممَّا حُذفَت فيه الصفةُ لما

دلَّ من الحال على موضعها، وذلك أنَّك تحسُّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح، والتفخيم، والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويلٌ، أو نحو ذلك. وأنت تحسُّ هذا من نفسك إذا تأمَّلته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجُلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتُمَكِّن في تمطيط اللام، أو إطالة الصوت بها أو عليها، أي: رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً، أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتُمَكِّنُ الصوت بإنسان وتُفَخِّمَهُ، فيُسْتَغْنَى بذلك عن وصفه بقوله: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إذا ذممته ووصفته بِالضِّيق، قُلْتَ: سألناه وكان إنساناً!، وتَزْوِي وجهك وتُقَطِّبه، فيُغْنِي ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو لحزاً أو نحو ذلك "[٣]. فابن جنِّي يعني بتطويح الصوت وتطريحه، وتفخيمه، وتعظيمه، وتمطيطه، وتمكينه، ما يُسَمَّى بـ (التنغيم) عند المحدثين.

ويرى د. غانم قدوري أنَّ السمرقنديّ[١](ت٧٨٠هـ)، فصَّل هذا الأمر تفصيلاً لم يُسْبَق إليه، حينما قال:" ولا أُبالغ إن قُلْتُ: إنَّ كلام المحدثين في الموضوع لا يصل إليه من حيث القيمة العملية لا التفصيلات النظرية، فيما نجده مكتوباً عن الموضوع بالعربية "[٢].

ورأى د. تمام حسان أنَّ التنغيم له وظيفةٌ دلاليةٌ؛ فبواسطته يمكن تحديد دلالة الجملَة من إثبات أو نفي؛ فهو بمثابة علامات الترقيم في الكتابة[٣]، وفي هذا الصدد ذَكر د. كمال بشر أنَّ " التنغيم عاملٌ مهمٌ في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة، من إثباتية، أو استفهامية، أو تعجبية... إلخ؛ إذ تصلُح واحدةٌ منها وفقاً للون موسيقي معين، مما قد تحتويه الجملة من أدوات صرفية من شأنها أن تساعد على تحديد نوعها، كأدوات الاستفهام، وصيغتي التعجب، وفي كثيرٍ من الأحيان يكون التنغيم وحده هو الفصل في الحكم على نوع الجملة كما يحدث مثلاً حين تخلو الجمل الاستفهامية من أدوات الاستفهام، أو حين تكون الجملة مشتملةً على أداة استفهام، لكنَّها – بحسب تعبيرهم – خرجت عن أصلها "[٤].

وفرَّق البعض بين النغمة واللحن، فقيل إنَّ النغمة يقصد بها " تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية، فتوصف النغمة بأنَّها صاعدةٌ، أو هابطةٌ أو مستويةٌ، وأمَّا اللحن فهو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية، أي الترتيب الأفقي للنغمات. ويقترب بذلك معنى اللحن من دلالة مصطلح التنغيم "[١].

ويبدو للباحثة أنَّ عدم نضج الدراسات التطبيقية جعلت د. إبراهيم أنيس يقول:" والتسلسل الذي نلحظه في درجات الصوت يخضع لنظامٍ خاص يختلف من لغة إلى أخرى. ولابد من معرفة هذا النظام في اللغة التي يراد تعلمها، وإلا فَقَدَ الكلام صيغته الخاصة، وبَعُدَ النطق

الطبيعي الخاص بكلِّ لغة. والبحث عن نظام درجات الصوت وتسلسله في الكلام العربي يحتاج إلى عون خاص من الموسيقيين عندنا. ولسوء الحظ حتى الآن لم يهتد موسيقيونا إلى السُّلم الموسيقي في غنائنا، وبعبارةٍ أخرى لم يتفقوا عليه؛ لهذا نترك الحديث عن موسيقى الكلام العربي إلى مجال آخر على أن تتكفَّل البحوث المستقبلية بهذَا "[٢].

وأشهر أنواع النغمات هي[٣]:

١. النغمة الصاعدة: تعني وجود درجةٍ منخفضةٍ في مقطعٍ أو أكثَر، تليها درجة أكثَر علواً منها، وتتمثل في الأَمر، والترغيب، والتعجُّب، والإثارة، والغرابة، والإهانة، والنَّهي المحض، ويكون فيه ارتفاع درجة الصوت من أسفل إلى أعلى حتى المقطع الأخير[٤].

٢. النغمة الهابطة: تعني وجود درجةٍ عاليةٍ في مقطعٍ أو أكثَر تليها درجة أكثر انخفاضاً، وتتمثل في التمني، والتهكُّم، وإظهار الأسف والحزن، ويكون فيه انخفاض الصوت من أعلى إلى أسفل حتى المقطع الأخير[٥].

٣. النغمة المستوية: تعني وجود عددٍ من المقاطع تكون فيها درجاتُ الصوت متحدةً، وقد تكون هذه الدرجات قليلةً أو متوسطةً، أو كثيرةً، وتكون درجةُ الصوت فيه عند وقوف المتكلِّم قبل تمام المعنى، وتتمثل في التقرير، والخبرية والنصح والإرشاد، والنداء المحض[١].

ومن تطبيقات التنغيم على آيات الأحكام ما يأتي:

. قال تعالى فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴿٩١﴾ [٢]، يكون في الاستفهام الحقيقي (السؤال) المقطع الأول أعلى نسبياً، ثم يحدث هبوطٌ تدريجي حتى نهاية التعبير؛ فهو يُنْطَقُ بنغمة هابطة[٣]، ولكنَّ الاستفهام في الآية الكريمة ليس كذلك، إذ إنَّ المراد به الأمر، فيُنْطَقُ بنغمةٍ متصاعدةٍ حتى نهاية الآية (منتهون).

. قال تعالى: فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ [٤]، جاءت (لا) في الآية الكريمة نافيةً للجنس، والأصلُ في الجمل المتعاقبة (لا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ في الحج) أن تكون خبريةً، وهذا النفي لو نُطِقَ على الأصل، فإنَّه يُنْطَقُ بنغمةٍ هابطة حتى يُعلم أنها خبرية[٥]، ولكنَّ النفي في الآية جاء بمعنى النهي[٦]، ونغمةُ قراءته مُتصاعدةٌ.

. قال تعالى: أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ[١]، الاستفهام بالهمزة في الآيَة ليس حقيقياً فهو للإنكار. وهذه الهمزة التي هي للإنكار دخلت على (ليس) النافية؛ ولما كان نفي النفي إثباتاً، فالهمزة للتقرير[٢]، وتكون قراءتها بنغمةٍ مستويةٍ.

. قال تعالى: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ [٣]، في الآية وجهان؛ أحدهما: أن يكون المراد من النهي في (لا تَسْأَلُوا) نهي التحريم، أي: هو حقيقةٌ، لا مجاز؛ فهو يُقْرأ بنغمةٍ متصاعدةٍ. والآخر: أنَّ المراد به النُّصْحُ والإرشاد، أي: يُحْمَلُ على المجاز، فَيُقرأ بنغمةٍ مستويةٍ.

وتفيد موسيقى الكلام المصاحب للنطق، في توجيه بعض الآيات التي " تخلو خلواً تاماً من أدوات الاستفهام، وهي في حقيقة الأمر جملةٌ استفهاميةٌ "[٤]. ومن الأمثلة على ذلك في الأحكام قوله تعالى: يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ[٥]، برفع (قتال)، وفيها قال العكبري:" وقد قُرِئَ بالرفع في الشاذ، ووجهه على أن يكون خبر مبتدأ محذوف معه همزة الاستفهام، تقديره: أجائزٌ قتالٌ فيه ؟ "[٦]. فيرجع تلوين النطق بصورةٍ، تُوَائِمُ الأنماط التنغيمية للجمل الاستفهامية من هذا النوع[٧].

وبذلك تتضح أهمية التنغيم في الدراسات اللغوية؛ فهو عنصر مهم للتفريق بين معاني الجمل في كثير من الأحيان.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة في رحاب (**الدرس الصوتي في آيات القرآن التشريعية**)، نقف عند أهم ما تمخّض عنه البحث من نتائج، وهي:

بينت الدراسة إمكان فهم إيقاع القرآن في خارج حدود الأسس الإيقاعية للشعر العربي (الخليلي)، المبني على أساس الكم (التفعيلات)، وذلك عن طريق إجراء تطبيقات عملية على نماذج من آيات القرآن التشريعية، يتم توزيع النبر فيها على أساس الوحدات النغمية الثلاث (. O)، (. O .)، (O . .)، (. . O).

أظهرت الدراسة أهمية التناسق الصوتي لأصوات الحروف في آيات القرآن التشريعية عن طريق التشديد، والتفخيم، والعدول إلى صيغ بعينها؛ مما يضفي عليها أحياناً بعداً روحياً، وكذلك عن طريق استعمال المحسنات البديعية من قبيل الجناس التام، والجناس الناقص، والمشاكلة وغيرها.

بيَّنتِ الدراسة من خلال آيات التشريع اختلاف أسلوب القرآن الكريم في استعمال الفاصلة القرآنية عما هو جارٍ عليه في قوافي الشعر، من تكرار ألفاظ بعينها في رؤوس الآي، وبينت الدراسة أنَّ للفاصلة القرآنية قيمةً صوتيةً جماليةً، وترتبط أشدَّ الارتباط بموسيقى النص القرآني، وإن توافقت مع تمام المعنى، ولا يكفي القول إنَّه ربما لا يتصور تمام المعنى إلا بها.

وبعد... فقد أنهيت هذا البحث بفضل الله وتوفيقه، وحسبي أني اجتهدت، فإن أصبت فبفضل الله تعالى، وإن كانت الأُخرى فإني أستغفره تعالى وأتوب إليه من الخطأ والزلل والشطط، وله الحمد في الأولى والآخرة.

الهوامش:

(١) المائدة/٤٤.

(٢) يونس/١٥.

(٣) الكفوي : الكليات ، ص٢١٩.

(٤) انظر : الخليل : العين ، ٣/٦٦.٦٧.

(٥) (٣) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ، ٢/٩١.

(٦) الرازي : المحصول في علم أصول الفقه ، ١/١٠٧.

(٧) المناوي : التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف) ، ١/٦٥٤.

(٨) الزمخشري : الفائق في غريب الحديث ، ٣/٨٨.

(٩) المقصود بـ (الاقتضاء) الطلب ، والطلب إما أن يكون طلب فعل أو طلب ترك ، وكل منهما إما أن يكون طلباً جازماً أو غير جازم ، فطلب الفعل الجازم هو الوجوب وغير الجازم الندب ، وطلب الترك الجازم هو الحرمة وغير الجازم الكراهة. والمقصود بـ (التخيير) الإباحة ، أما المتعلق بالوضع فيسمى الحكم الوضعي ، وهو جعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً ، والحكم على الفعل بأنه صحيح أو باطل.

(١٠) حاجي خليفة :كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ١/٢٠.

(١١) انظر : د. تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ١/٩٢.

(١٢) انظر : الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٥/٢٤٧.

(١٣) المدثر/ ١٨.٢٤.

(١٤) سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص٩٣.

(١٥) الإنسان/١٨.

(١٦) البيان في روائع القرآن ، ١/٢١١.

(١٧) الإنسان/٧.

(١٨) د. مهدي المخزومي : في النحو العربي قواعد وتطبيق ، ص٤ ، وانظر : د. أحمد عفيفي : ظاهرة التخفيف في النحو العربي ، ص١٤٢.

(١٩) انظر : سيبويه : الكتاب ، ٤/٤٧٨.

(٢٠) ابن جني : المنصف (شرح تصريف المازني (ت٢٤٩هـ)) ، ص٥٤١.

(٢١) الأعراف/٣٨.

(٢٢) البيان في روائع القرآن ، ١/٢٠٢.٢٠٣.

(٢٣) فاطر/٣٦.٣٧.

(٢٤) انظر : السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ٢٦٣/٣ ، والتصوير الفني في القرآن ، ص٩٢.

(٢٥) المائدة/٦.

(٢٦) الحج/٢٩.

(٢٧) البقرة/١٥٨.

(٢٨) طه/١٣٢.

(٢٩) البقرة/١٤٣.

(٣٠) المائدة/٨٩.

(٣١) البقرة/٢٣٨.

(٣٢) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٢/٦ ، وأبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، ١٢/٤-١٣، والإتقان ، ٢٥١/٣ ، البيان في روائع القرآن ، ٢٠٦/١.

(٣٣) النساء/٨٦.

(٣٤) انظر : مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص٤٥.

(٣٥) الناس/٦.١.

(٣٦) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص١٧٥.

(٣٧) التصوير الفني في القرآن ، ص٩٤.

(٣٨) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ١٩٩/٢، وانظر : د.محمد حسن شرشر : البناء الصوتي في البيان القرآني ، ص٨٩.

(٣٩) الأحزاب/٣٥.

(٤٠) البناء الصوتي في البيان القرآني ، ص٩٠-٩١.

(٤١) البقرة/١٤٤.

(٤٢) انظر : الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن ، ص٥٤٨- ٥٤٩.

(٤٣) المائدة/٢.

(٤٤) البقرة/١٩٤.

(٤٥) انظر : الفراء ؛ أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ) : معاني القرآن ، ١١٧/١.

(٤٦) الشورى/٤٠.

(٤٧) الأعراف/٢٦.

(٤٨) انظر : البيان في روائع القرآن ، ٤٨/١-٤٩.

(٤٩) الضحى/٩.١٠.

(٥٠) الهمزة/١.

(٥١) النور/٣٧.

(٥٢) البقرة/٢٧٦.

(٥٣) الأنعام/٧٩.

(٥٤) الروم/٤٣.

(٥٥) النحل/٦٩.

(٥٦) وردت (الواقعة) في قوله : إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ الواقعة/١ ، و(واقع) قوله : سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍالمعارج/١ ، و(وقع) في قوله : قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ الأعراف/٧١.

(٥٧) عبد الجبار داود : فضاء البيت الشعري ، ص١٥٧.

(٥٨) جان كانتينو : دروس في علم أصوات العربية ، ص١٩٧.

(٥٩) انظر : د. كمال أبو ديب : في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، ص١٩٥-١٩٦.

(٦٠) المرجع السابق ، ص ١٩٦.

(٦١) د. شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ، ص٣٦٩، وانظر : في البنية الإيقَاعية ، ص٣٢.

(٦٢) انظر : في البنية الإيقاعية ، ص١٨٤.

(٦٣) النحل/٩١.

(٦٤) البقرة/١٥٠.

(٦٥) الإسراء/٣٤.

(٦٦) لقمان/١٨.

(٦٧) الحديد/٢٣.

(٦٨) النساء/٣٥.

(٦٩) التوبة/٨٤.

(٧٠) النساء/٨٥.

(٧١) انظر : في البنية الإيقَاعية ، ص١٩٦.

(٧٢) ابن جني : الخصائص ، ١٢٣/٣.

(٧٣) المرجع السابق ، ١٢٩/٣-١٣٠.

(٧٤) الأصوات اللغوية ، ص٣١٧.

(٧٥) د. أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، ص٣٥٧.

(٧٦) د. رمضان عبد التواب : التطور اللغوي ، ص١٢٨.

(٧٧) برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية ، ص٧٢.

(٧٨) هنري فليش : العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد ، ص٤٩.

(٧٩) العربية الفصحى ، ص٤٩.

(٨٠) انظر : د. محمود السعران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص١٩١-١٩٢ ، د. داود عبده : دروس في علم الأصوات العربية ، ص١٠١.

(٨١) في البنية الإيقاعية ، ص٢٩٥- ٢٩٦.

(٨٢) انظر :كارل بركلمان : فقه اللغات السامية ، ص٥٤ ، وعلم الصرف الصوتي ، ص١١٧.

(٨٣) مناهج البحث في اللغة ، ص١٦٠.

(٨٤) انظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٨٥) انظر : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص١٣٤ ، وعلم الصرف الصوتي ، ص١١٣.

(٨٦) انظر : البيان في روائع القرآن ، ١٨٥/١.

(٨٧) انظر : التشكيل الصوتي ، ص١٣٤.

(٨٨) الأصوات اللغوية ، ص١٠٦.

(٨٩) انظر : د. رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ، ص١٠٥، والبيان في روائع القرآن ، ١٨٢/١.

(٩٠) انظر : في البنية الإيقاعية ، ص٢٨٩.

(٩١) في البنية الإيقاعية ، ص٢٣١ (بتصرف).

(٩٢) انظر : في البنية الإيقاعية ، ص٢٣١- ٢٣٢.

(٩٣) المزمل/٤.

(٩٤) العين ، ٦٥٢/١.

(٩٥) البيان في روائع القرآن ، ١٨٩/١.

(٩٦) انظر : د. محمد الأمين الخضري : من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية ، ص٨.

(٩٧) انظر : في البنية الإيقاعية ، ص٢٣٥.

(٩٨) آل عمران/١٠٣.

(٩٩) العنكبوت/٨.

(١٠٠) السجدة/١٦.

(١٠١) النحل/١١٤.

(١٠٢) الشورى/٣٧.

(١٠٣) النحل/١٢٥.

(١٠٤) المائدة/٣٨.

(١٠٥) الجن/١٨.

(١٠٦) النساء/١٠.

(١٠٧) فصلت/٣.

(١٠٨) انظر : البناء الصوتي في البيان القرآني ، ص١٤.

(١٠٩) الشعراء/٢٢٤.٢٢٧.

(١١٠) د. محمد النويهي : قضية الشعر الجديد ، ص٩٢.

(١١١) د. إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ص٣٠٥.

(١١٢) الشعراء/٢٢٥.٢٢٦.

(١١٣) انظر : السيد أحمد الهاشمي : ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ، ص١٢٠.

(١١٤) الناس/١.٦.

(١١٥) النور/١١.١٦.

(١١٦) انظر : د. عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ، ، ص٣٦٢.

(١١٧) انظر : الخطابي والرماني والجرجاني : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص٩٧.

(١١٨) الرحمن/٤٦.

(١١٩) الرَّجز لخطام المجاشعي ، انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (م رت).

(١٢٠) معاني القرآن للفراء ، ٣/١١٨.

(١٢١) يعني بالصرف التنوين ، أي قد يُحذف تنوين المصروف.

(١٢٢) الرحمن/٤٨.

(١٢٣) (٢) قوله فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ الرحمن/٥٠ ، وقوله : فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ الرحمن/٥٢.

(١٢٤) الإتقان ، ٣/٢٩٩.

(١٢٥) أبو داود : سنن أبي داود ،كتاب الدّيات ، باب ديّة الجنين ، الحديث رقم (٤٥٧٤).

(١٢٦) انظر : أبو هلال العسكري :كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، ص٢٦١.

(١٢٧) انظر : أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص٢٦١.

a. الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ١/٥٤.

b. النور/١١.١٨.

(١٢٨) البقرة/٢٢٣.٢٢٥.

(١٢٩) انظر : الزمخشري : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ١/٤٣٦.٤٣٧.

(١٣٠) البقرة/٢٢٣.٢٢٥.

(١٣١) انظر : معاني القرآن للفراء ، ١/١٤٤ ، والكشاف ، ١/٤٣٧.

(١٣٢) البيان في روائع القرآن ، ١/١٩٧.

(١٣٣) آل عمران/٩٢.

(١٣٤) البقرة/١٠٢.

(١٣٥) البقرة/١٩٩.٢٠١.

(١٣٦) البقرة/٢١٩.٢٢٠.

(١٣٧) الروم/٣١.٣٢.

(١٣٨) الفاتحة/٥.

(١٣٩) البقرة/٤.

(١٤٠) آل عمران/١١٧.

(١٤١) النحل/٣٣.

(١٤٢) العنكبوت/٤٠.

(١٤٣) هود/١٠١.

(١٤٤) سبأ/١٩.

(١٤٥) البقرة/٨٨.

(١٤٦) البقرة/٢٣٤.

(١٤٧) آل عمران/١٥٣

(١٤٨) النساء/٤٦.

(١٤٩) الحجرات/١٨.

(١٥٠) انظر : البرهان في علوم القرآن ، ١/٧٩.

(١٥١) العين ، ٤/٤٢٦.

(١٥٢) محمد/٣٠.

(١٥٣) الكشاف ، ٥/٥٢٨.

(١٥٤) انظر : ديوان القتال الكلابي ، ص٣٦ ، والجامع لأحكام القرآن ، ١٦/١٦٧، وذكره صاحب اللسان ، مادة (ل ح ن) ، والبحر المحيط ، ٨/٧٣.

(١٥٥) انظر : سمير إبراهيم وحيد العزاوي : التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، ص٢٥، و د. غانم قدوري : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص ٥٦٨.

(١٥٦) انظر : د.كمال بشر : علم الأصوات ، ص٥٣٣ ، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص١٠٦.

(١٥٧) انظر : الزبيدي ؛ لأبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٧٩هـ) : طبقات النحويين واللغويين ، ص٢١، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، ص٣٢.

(١٥٨) الكتاب ، ٢/٢٢٠.

(١٥٩) الفاتحة/٤.

(١٦٠) نُسبت هذه القراءة إلى أبي هريرة وعمر بن عبد العزيز ، انظر : ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع ، ص٩، والكشاف ، ١/١١٥. ونسبها القرطبي إلى محمد بن السميفع ، انظر : الجامع لأحكام القرآن ، ١/١٤٨.

(١٦١) أبو عبيدة ؛ معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ) : مجاز القرآن ، ١/٢٢– ٢٣.

(١٦٢) هود/٧٢.

(١٦٣) الأخفش الأوسط : معاني القرآن ، ١/٣٨٥.

(١٦٤) الخصائص ، ٢/٣٧٠.٣٧١.

(١٦٥) هو محمدٌ بن محمود بن محمد السمرقنديّ ، وهو من علماء التجويد.

(١٦٦) انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص٥٦٧.

(١٦٧) انظر : مناهج البحث في اللغة ، ص١٦٤.

(١٦٨) د.كمال بشر : التفكير اللغوي بين القديم والجديد ، ص١٥٢– ١٥٣.

(١٦٩) د. غانم قدوري الحمد : المدخل إلى علم أصوات العربية ، ص٢٤٣ ، وانظر : أصوات اللغة ، ص١٥٣.

(١٧٠) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص١٤٣.

(١٧١) انظر : المدخل إلى علم أصوات العربية ، ص٢٥٨.

(١٧٢) انظر : التنغيم اللغوي في القرآن الكريم ، ص١٥٧.

(١٧٣) انظر : المرجع السابق ، ص١٥٧.

(١٧٤) انظر : المرجع السابق ، ص١٥٧.

(١٧٥) المائدة/٩١.

(١٧٦) انظر : د. سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية) ، ص١٤٤.

(١٧٧) البقرة/١٩٧.

(١٧٨) انظر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، ص٥٦٧.

(١٧٩) انظر : الكشاف ، ٤٠٧/١.

(١٨٠) الزمر/٣٦.

(١٨١) انظر : السبكي : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ٥٥٠/١.

(١٨٢) المائدة/١٠١.

(١٨٣) د.كمال بشر : علم الأصوات ، ص٦١٣.

(١٨٤) البقرة/٢١٧.

(١٨٥) العكبري : التبيان في إعراب القرآن ، ١٤٧/١.

(١٨٦) انظر : د.كمال بشر : علم الأصوات ، ص٦١٣.

المصادر والمراجع

١. **الإتقان في علوم القرآن:** للسيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.

٢. **أثر النحاة في البحث البلاغي:** د. عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.

٣- **أسس علم اللغة:** ماريو باي، ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

٤. **أصوات اللغة:** د. عبد الرحمن أيوب، دار التأليف للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.

٥. **الأصوات اللغوية:** د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

٦. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية:** مصطفى صادق الرافعي، المكتبة التجارية، مصر، ط٧، ١٩٦١م.

٧. **البرهان في علوم القرآن:** للزركشي؛ بدر الدين محمد بن عبد الله (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٨. **البناء الصوتي في البيان القرآني:** د. محمد حسن شرشر، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

٩. **البيان في روائع القرآن:** د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٠- **تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي):** د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١١. **تاريخ آداب العرب:** مصطفى صادق الرافعي، مطبعة الاستقامة، القاهرة،١٩٤٠م.

١٢. **التبيان في إعراب القرآن:** للعكبري؛ أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت٦١٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٦م.

١٣. **التشكيل الصوتي في اللغة العربية (فونولوجيا العربية)**: د. سلمان حسن العاني، النادي الأدبي الثقافي، السعودية، ط١، ١٩٨٣م.

١٤. **التصوير الفني في القرآن**: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٧، ٢٠٠٤م.

١٥- **التطور اللغوي**: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٦- **التطور النحوي للغة العربية**: برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلَّق عليه الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

١٧. **التعاريف (التوقيف على مهمات التعاريف)**: للمناوي؛ محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١هـ)، تحقيق د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

١٨. **تفسير البحر المحيط**: لأبي حيان الأندلسي؛ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

١٩. **التفكير اللغوي بين القديم والجديد**: د. كمال بشر، دار الثقافة العربية، القاهرة، د. ت.

٢٠. **التنغيم اللغوي في القرآن الكريم**: سمير إبراهيم وحيد العزاوي، دار الضياء للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

٢١. **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**: للخطابي؛ أبو سليمان حمد بن محمد (ت٣٨٨هـ)، والرماني؛ أبو الحسن بن علي بن عيسى (ت٣٨٦هـ)، والجرجاني؛ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت٤٧١هـ)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

٢٢. **الجامع لأحكام القرآن**: للقرطبي؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت٦٧١هـ)، تحقيق عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوقيفية، القاهرة، د.ت.

٢٣. **الخصائص**: لابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد على النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، العدد (١٤٦)، ٢٠٠٦م.

٢٤. **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**: د. غانم قدوري، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٨٦م.

٢٥- **دراسة الصوت اللغوي**: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط١، ١٩٧٦م.

٢٦- **دروس في علم أصوات العربية**: جان كانتينو، ترجمة صالح القرمادي، تونس، ١٩٦٦م.

٢٧- **دروس في علم الأصوات العربية**: د. داود عبده، مؤسسة الصباح، الكويت، د.ت.
٢٨. **ديوان القتال الكلابي**، حققه وقدَّم له إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٩م.
٢٩. **سنن أبي داود**: لأبي داود؛ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
٣٠. **طبقات النحويين واللغويين**: للزبيدي؛ لأبي بكر محمد بن الحسن (ت٣٧٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، د.ت.
٣١. **ظاهرة التخفيف في النحو العربي**: د. أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
٣٢. **العربية الفصحى نحو بناء لغوي جديد**: هنري فليش، تحقيق د. عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م.
٣٣. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**: للسبكي؛ بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي (ت٧٧٣هـ)، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٤- **علم الصرف الصوتي**: د. عبد القادر عبد الجليل، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ١٩٩٨م.
٣٥. **علم الأصوات**: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٣٦. **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**: د. محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.
٣٧. **العين**: للفراهيدي؛ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠م.
٣٨. **الفائق في غريب الحديث**: للزمخشري؛ جار الله محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م
٣٩- **فضاء البيت الشعري**: عبد الجبار داود، دار الشؤون الثقافية، الجمهورية العراقية، ١٩٩٦م.
٤٠- **فقه اللغات السامية**: كارل بركلمان، ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض، الرياض، ١٩٧٧م.
٤١- **في البنية الإيقاعية للشعر العربي** (نحو بديل جذري لعروض الخليل، ومقدمة في علم الإيقاع المقارن): د. كمال أبو ديب، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ط٣، ١٩٨٧م.

٤٢. **في النحو العربي قواعد وتطبيق**: د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٦٦م.

٤٣. **قضية الشعر الجديد**: د. محمد النويهي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧١م.

٤٤. **الكتاب**: لسيبويه؛ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

٤٥. **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**: لأبي هلال العسكري؛ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٥٢م.

٤٦. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: للزمخشري؛ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ود. فتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٨م.

٤٧. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: لحاجي خليفة؛ مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.

٤٨. **الكليات**: للكفوي؛ أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٤٩. **لسان العرب**: لابن منظور؛ جمال الدين محمد بن مكرَّم (ت٧١١هـ)، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة، د.ت.

٥٠. **مجاز القرآن**: لأبي عبيدة؛ معمر بن المثنى التيمي (ت٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه د. فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨م.

٥١. **المحصول في علم أصول الفقه**: للرازي؛ فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

٥٢. **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع**: لابن خالويه؛ الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق ج. برجشتراسر، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.

٥٣. **المدخل إلى علم أصوات العربية**: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

٥٤- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخاجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.

٥٥. **معاني القرآن**: للأخفش الأوسط؛ أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت٢١٥هـ)، تحقيق د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

٥٦. **معاني القرآن**: للفراء؛ أبو زكريا يحيى بن زياد (ت٢٠٧هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

٥٧. **معاني القرآن وإعرابه**: للزجاج؛ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٥٨. **معجم مقاييس اللغة**: لابن فارس؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م.

٥٩. **المفردات في غريب القرآن**: للراغب الأصفهاني؛ أبو القاسم الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.

٦٠- **من أسرار المغايرة في نسق الفاصلة القرآنية**: د. محمد الأمين الخضري، القاهرة، ١٩٩٤م.

٦١. **مناهج البحث في اللغة**: د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.

٦٢. **المنصف** (**شرح تصريف المازني** (ت٢٤٩هـ)): لابن جني؛ أبو الفتح عثمان (ت٣٩٢هـ)، تحقيق وتعليق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٦٣. **موسيقى الشعر**: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م.

٦٤. **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب**: للسيد أحمد الهاشمي، حققه وضبطه د. حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.